التبذير فى البيت

التبذير طريق الخراب . وكلنا يعرف ذلك الوارث الذى حرمه أبوه من استعمال النقود والإنفاق المعتدل على الحاجات ، فما هو أن مات هذا الأب حتى انفجر الابن ينفق بالجنيهات فى الساعات ما جمعه أبوه بالقرش فى الأيام والشهور . والشباب فى حاجة الى أن يتعلموا التدبير المالى بلا تقتير و بلا تبذير كما يتعلمون أى شىء آخر . والتعليم هنا لن يكون بغير الممارسة .

والتبذير سىء فى كل حال ، ولكنه يكون أسوأ حين يتجاوز ضرره إلى غير الشخص المبذر . فالرجل الأعزب لا يكاد يحس تبعات التبذير الذى تذوب فيه مكاسبه . لأن هذه المكاسب تتجدد ثم إنه ليس هناك أشخاص آخرون يبلغهم و يؤثر فيهم ضرر التبذير . ولذلك اذا كان تبذير الأعزب يعد من الهفوات فان تبذير الأب أو الأم يعد من الجرائم لأن أثرها هنا يتناول الأولاد بالأذى فى حاضرهم ومستقبلهم .

والزوج المبذر هو احدى الظواهر المؤسفة فى مجتمعنا . هو أنانى بسلوكه إن لم يكن بعاطفته . لا يبالى غشيان المقاهى أو الحانات ينفق فيها على فناجين القهوة المتكررة أو كؤس الخمر ما كان يجب أن يخص به البيت لشراء طعام أو لباس أو أى لون آخر من ألوان الترفيه عن الأولاد . وهناك آباء قد تملكتهم عادات فى التدخين توهم من ينظر إليهم أنهم يعيشون لكى يدخنوا وهم يحرقون نقودهم التى كان يجب أن تنفق فى مصروفات المدرسة لأبنائهم أو فى أجرة الطبيب لمعالجة الزوجة .

والإسراف فى التدخين أو تناول القهوة لا يرجع الى حاجة صحية ، لأن مرده فى الحقيقة الى كرب نفسى . وقد يؤدى هذا الكرب إلى الالتجاء إلى الخمر . ولذلك يجب أن يعالج كما يعالج أى مرض آخر . فانك تسمع أحد الموظفين يقول لك إنه يدخن خمسين أو سبعين سيجارة فى اليوم . وآخر يصرح بأنه يحتاج إلى نحو عشرة فناجين من القهوة كل يوم بل أكثر من ذلك . و يظن كل منهما أنه يشبع مزاجا خاصا ليس به عيب . ولكن الحقيقة أنهما يكرهان عملهما ويتبرمان بوسطهما و يطلبان القهوة والتدخين لكى يسرى كل منهما عن نفسه هذا الكرب الذى يضيق به . ولو أن أحدهما أحب عمله واستغرق فيه لما فكر فى تسلية أخرى يخفف بها من سأمه وثقل العمل عليه .

ولكن تبذير الزوجة لا يقل شأنا عن تبذير الزوج. فهناك من الزوجات من يحملهن الزهو على اقتناء الجواهر والمصوغات والملبوسات واتباع الأزياء الجديدة بما يرهق ميزانية البيت ويؤدى إلى الحرمان فى نواح جوهرية من التدبير المنزلى . واقتناء الجواهر من العادات التى ورثناها عن الحضارات القديمة حين كان للبهرج أثره فى أسلافنا كما له الآن بين المتوحشين والبدائيين ، واختلافنا هنا فى الدرجة وليس فى النوع . وهذا الاقتناء يدل على خيال سخيف وتقيد أعمى بالعادات . وهذه الجواهر قلما تعرفها سيدة مهذبة فى تلك الأمم الديمقراطية الأوربية إلا اذا كانت من الثراء بحيث يتجاوز دخلها الألوف من الجنيهات كل عام أما الطبقات المتوسطة فلا يعرف نساؤها غير أبسط الملابس وأقل الزخارف تكاليف من عقد لا يبلغ ثمنه بضعة قروش الى ساعة للمعصم لا يزيد ثمنها على جنيه .

وكثير من أموالنا مجمد فى هذه المصوغات والجواهر التى يقتنيها نساؤنا . ولو أنها بيعت ودخلت أثمانها فى الحركة المالية لأحدثت نشاطا اقتصاديا عظيما فى صناعتنا وتجارتنا . وأحيانا نجد حتى المزارعين يشترون الذهب لبراقع زوجاتهم أو الفضة لخلاخيلهن ، فى حين تموت الجاموسة فلا يشترون غيرها ولا يبيعون هذه الزخارف لكى يقتنوا ماشية أخرى مع أنها قد تكون محور النشاط الزراعى ، بل هم حين يطلب أحدهم ذلك ترفض الزوجة وتؤثر هذه المعادن جامدة ميتة لا تنمو ولا تزيد على الاستغلال المعين لها ولزوجها . وهذا تبذير سيء يجب علينا جميعا أن نواصى بالكف عنه .

واقتناء الجواهر والمصوغات فى بلادنا من أكبر العوائق للنشاط المالى لأنه — كما قلنا — يجمد نقودنا فلا تنتفع بها إلا للزهو السخيف . ولذلك يجب أن نعده أسوأ أنواع التبذير عند الزوجة وهو تبذير يتجاوز ضرره إلى الأولاد بل إلى الأمة كلها .

وهناك أنواع أخرى من التبذير مثل تكديس البيت بالأثاث الذى لا ينتفع به ، أو شراء الأقمشة التى تستعمل للمفروشات من الحرير الخالص ، حتى إن ستار النافذة قد يكلف عشرة جنيهات أو أكثر ثم يبدو بعد ذلك عتيقا لا يأتلف مع الزى الجديد من الكراسى والدواوين . وقد يحمل هذا التبذير على عاداتنا فى تجهيز الزوجة بالأثاث الغالى وهو تبذير فى الزواج وملحقاته من ولائم وجهاز للعروس ونحو ذلك . وهذا حق . على أن هذا الأثاث الكثير المكدس يحتاج إلى مسكن كبير رحب يكلف إيجارا عظيما يؤدى دفعه إلى ألوان من الحرمان فى الاقتصاديات المنزلية الأخرى .

وهناك تبذير مألوف فى الطعام ، فإن بعض الزوجات يجهلن الأساليب الحسنة لتغذية الأطفال والكبار ، ولذلك ينفقن الكثير من دخل الزوج على الأطعمة الغالية باعتقاد أن غلاءها برهان على عظم فوائدها ، فهن يشبعن الأطفال باللحم ولا يفتأن يصنعن الكعك والفطائر ، بل هناك زوجات يطبخن فى الصباح ثم يعدن فيطبخن فى المساء ، وهذا تبذير

قبيح يدل على جهل فاضح بالأغذية وقيمتها . والعادة أن البيوت التى تتعود هـذه العادات فى التبذير يتعلم فيها الأولاد النهم فى الطعام و يسمنون ، كما أن الزوجين يتصحمان لوفرة الطعام و يقعان فى أمراض مختلفة نتيجة للسمن ، وربما تستغرب هؤلاء الزوجات حين نقول لهن : إن أعظم سيدة ثرية فى انجلترا تقنع بغذاء من الجبن أو اللحم البارد والخبز بحيث لا يزيد مجموع ما تأكله فى هذه الوجبة على نصف رطل ، وأن اللحم لا يؤكل فى أعظم البيوت ثراء فى أوربا وأمريكا زيادة على مرة فى اليوم ، وأن عندنا من القطانى مثل الفول والعدس والفاصوليا واللوبيا ما يقوم مقام اللحم فى الغذاء البروتينى وهو رخيص ، وأن نمو الأطفال قد يحتاج إلى اللبن والبيض أكثر مما يحتاج إلى اللحم ، أما المداومة على صنع الكعك والفطائر فتبذير مضر يستهلك دخل الزوج و يؤدى إلى سمن الأعضاء فى البيت ، وهذه الأطعمة الدسمة يجب ألا تصنع سوى مرتين أو ثلاثا فى العام فى فرص خاصة أو عامة تستدعيها .

وهنالك نوع آخر من التبذير هو تلك الضيافة الغالية التى تدخل فى عداد الزهو ، فإن ربة البيت تحب المفاخرة بالمائدة الفخمة فتشترى لها من الأطعمة ما يكفى ثمنه لتزويد بيت متوسط فى أسبوع أو أكثر بالطعام الحسن ، وهذه المائدة الغالية لا تزيد قدرها أو مكانتها ولكنها فى الأغلب تبعث الحسد عند البعض والأسف عند الآخرين .

وتبذير آخر تقع فيه الأمهات هو منح الأولاد الكثير من النقود لكى يشتروا ما شاءوا ، وينشأ الأولاد على حب المال والرغبة المتعطشة إلى استهلاكه فى شراء المقتنيات السخيفة ، وهذا ضرر بليغ بأخلاقهم .

إننا كثيرا ما نجد موظفا لا يزيد مرتبه الشهرى على بضعة جنيهات ثم نراه مع ذلك قد استطاع أن يعلم ابنه حتى أوصله إلى الجامعة فنبغ وحصل على وظيفة أو عمل حرلم يكن أبوه يحلم به ، والسبب فى هـذه المعجزة فى الأغلب أن لهذا الزوج زوجة مدبرة كانت تميز بين المفيد والتافه من حاجات البيت فلا تشترى جزافا ، وكانت تدبر المال بفطنة وحكمة فلا تبذر ، فاستطاعت بذلك أن تبنى بيتها وتعلم أولادها وتجعل من القليل الذى كسبه زوجها كثيرا عمر به البيت ونما وذكا .